

من مطبوعات المجمع الاسلامي العلمي

رقم : ١٦٥

الدعوة الإسلامية المهدية وتطوراتها

أبو الحسن علي الحسيني السدي

ملتزم النشر و التوزيع

المجمع الاسلامي العلمي ، ندوة العلماء

ص.ب - ١١٩ - لكهنؤ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الرسالة

وبعد فقد عقد اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين في مصر حفلة تكريم للأستاذ أبي الحسن علي الحسيني الندوي في ٤/ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ هـ (١٣ - ٣ - ١٩٥١) بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، حضرها كبار علماء الأزهر وبعض رجالات العالم الاسلامي ، و أحب الاستاذ أن يتحدث في هذه المناسبة الكريمة عن الدعوة الاسلامية في الهند وأدوارها وأطوارها ، و اعتبر هذا الحديث القيم هدية من بلاده لقادة الفكر والعاملين في مجال الدعوة الاسلامية في أنحاء العالم الاسلامي .

و قد جاءت في هذا الحديث خلاصة التاريخ وعصارة التفكير و معلومات مركزة تغني عن الأسفار الكبيرة و الكتب الضخمة في أسلوب جميل شائق .

وقد آثرنا نشره وإعادة طبعه بعد تنقيح قليل وزيادة بسيرة ، عسى أن يكون زاد العاملين ، و نبراس المصلحين في كل عصر و بلد .

الناشر

١٤٠٦/٤/٢١ هـ

١٩٨٦/١/٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف انتشر الاسلام في الهند ؟

تأسست الدولة الاسلامية في الهند في القرن الخامس الهجرى واحتضنت العلم والدين ، و قصدها العلماء والأشرف من أقصى العالم الاسلامى ، وأوى إليها كل من بنا به بلده أو ضاقت عليه أرضه ، واجتمع فيها آلاف من أهل الدين والعلم نزحوا من بلادهم في قته التار ، و قصد ها أهل الهمم العالية والنفوس الكيرة من المجاهدين والدعاة ، بإشارات غيبية ومبشرات صادقة ، أو برغبة في الجهاد و نشر الدعوة الاسلامية ، فنشطوا في الجهاد والدعوة ، وانتشر الاسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة وشخصيتهم القوية ، و قد أسلم مئات آلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين الدين الجشتى (م ٦٢٧ هـ) في أجمير و ما جاورها من البلدان ، و أسلم آلاف

في بنجاب على يد الشيخ اسميل اللاهوري (م ٤٤٨ هـ) والشيخ
فريدالدين الأجدمني (م ٦٦٤ هـ) وأسلفت كشمير كلها على يد
السيد علي بن الشهاب المصنف (م ٧٨٦ هـ)
الدولة الروحية بجوار الدولة المادية

و لما أصاب الدولة الاسلامية ما أصاب شقيقاتها في الشرق
كله من الترف والبذخ ، و أصبحت لاتمثل من نواحي الحياة
الاسلامية و واجبات الحكومة الاسلامية إلا الناحية المادية ، و لا
تهتم إلا بحماية الأموال و تعيين العمال ، و ارتفعت الحسبة ، و
ركبت الحكومات رأسها ، و طفت المادة ، أسس رجال الدين
دولاً مستقلة في جنب هذه الحكومات ، كانت أعظم سلطاناً ، و أعمق
تقوذاً من هذه الحكومات ، و استقلت هذه الدول للروحية بالناحية
الروحية و الخلقية ، و كان القائمون على هذه الدول يحكمون القلوب
و الأرواح ، و كثيراً ما شوهد أن الملك كان يحكم على البلاد كلها و يحكم
عليه و على بلاطه و أزواجه و أولاده و بطاقته رجل من الصالحين قد
لا يجد قوت يومه و قد يكون دواب هذا الملك أشبع و أنعم عيشاً
منه ، و قد شوهد في بعض الليالي المظلمة أن السلطان تلمس الدين
الأيتمش (م ٦٢٣ هـ) الذي دانت له البلاد كلها و خضع له

ملوك الهند عن آخرهم يستفتح باب الشيخ قطب الدين بختيار الكشمكى
لعله نام على طوى و يسلم عليه تسليم ملوك على ملك ثم لا يزال
يفمن رجله و يكبس بدنه و يترف الدعوى على قدميه حتى يسليه
الشيخ و يبشره و يأمره بالانصراف ، وقد طلب علاء الدين محمد
شاه الخجى و هو من أعظم ملوك زمانه من الشيخ نظام الدين
الدهلوى (٨٧٢٥٣) أن يأذن له بالحضور فأبى ، وكان مع ذلك
تأثيره فى المجتمع الهندى الاسلامى و فى رجال الحكومة و حاشية
الملك و هم القدوة فى البلد عميقاً و واسعاً ، وقد أصبح الدين
شعار الناس الذين لهم اتصال بالشيخ و عمرت المساجد و قلت
المنكرات و فشت الأمانة و الصدق و النصح فى التجار ، و أكثر
التائبون و المقلعون عن المعاصى و الذنوب و ازدحم المبايعون على
بابه ، إلى غير ذلك مما حكاه المؤرخ البرنى فى تاريخه و كان له وخلقته
الشيخ نصير الدين محمود الأودهى نوع إشراف دينى - على اعتراضهما
عن اللعنة - على الحكومة الاسلامية و كان اختيار الملك الصالح
فيروز تغلق و هو من أفضل ملوك الهند و أرشدهم لملك و مبايعة
الناس بتوجيه الشيخ و ترشيحه و كان قد وعده بالبقاء له لطول الحكم
و التوفيق إذا قام بالعدل و نصر الاسلام ، و كان عهده من أزهر

الصعود الاسلامية و أنضرها في الهند .

صلة الملوك بالشيوخ و إجلالهم لهم :

وكان الملوك يمترون بدعاء هؤلاء الفقراء ويتفألون بكل ما ينطقون به ، فيما حكاه المؤرخ الهندي محمد قاسم صاحب (تاريخ فرشته) أن السلطان اسكندر بن بهلول اللوهي (٩٢٣م) كان في ناحية بعيدة عن دهل فلبا أخبر ب وفاة أبيه و أنه يبيع بالامارة قصد شيخاً صالحاً في ذلك البلد لم يعلم عن الحادث شيئاً ، وطلب منه أن يقرأ عليه العلم ، ورضى الشيخ بذلك ، وجاء الملك بكتاب « الميزان » وهو أول كتاب يدرس في علم الصرف و أوله « إعلم أسعدك الله في الدارين أن الكلمة ثلاثة أقسام » و طلب من الشيخ أن يقرأ فيتبرك بذلك ، فقرأ الشيخ « إعلم أسعدك الله في الدارين » و ما عنده فكرة عن غرضه ، فاستماده الملك ثلاث مرات والشيخ يردد قول المصنف « إعلم أسعدك الله في الدارين » . و بعد ذلك أطلب الملك الكتاب و قال : لقد نلت بفتي فما كان قصدي التعلم و قد تعلمت ما فيه كفاية ، و إنما أردت أن يدعولي الشيخ بالسعادة في الدارين وقد كان ذلك ، فحسبي من هذا الدرس هذا السلام الذي أتق بأنه مستجاب إن شاء الله . و قد كان هذا فعلاً ، و الحديث

بالحديث يذكر فقد كان هذا الملك من أعظم سلاطين الهند، وقد كان
 عهده من أزهر المهور الإسلامية، ملكاً وديناً وعلماً، و أمنياً،
 و مما يستدل به على سعادته و رشده و سلامة قلبه وصلاحه أنه
 لما سار إلى جونبور لاختاد الفتنة التي أحدثها أحد ملوك المسلمين
 دعا له بعض العلماء بالنصر والفتح، فتغير لونه وظهرت الكراهة في
 وجهه، فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الفريقان من المسلمين فلا
 محل للدعاء لفريق بالنصر والظفر. فان ذلك يستلزم انكسار الفريق
 الثاني ووقوع المقتلة فيه، وذلك مما يجب أن يحزن له المسلم ويمتنع
 منه، بل يجدر في ذلك المحل أن يدعى بالصلح والاتفاق، و مما
 يعرف به مقدار حفاوة الملوك بالعلماء و الصالحين و إشارهم على
 أنفسهم أن الشيخ شهاب الدين الدولة آبادي صاحب تفسير
 (البحر الموج) لما مرض و اشتد به الوجع في جونفور قاعدة
 البلاد الشرقية، عاده السلطان إبراهيم الشرقي (م ٨٨٤٠) ودعا
 عند رأسه أن يكون فداءً له فيموت و يعيش الشيخ زمناً طويلاً
 لأنه جمال ملكه و بركة زمانه .

سر خضوع الملوك للشيخ و الدعاء و سيرتهم :

و هكذا كان رجال الدين و عباد الله الذين تجردوا عن

الضغوط وطلب الجاه و المال و زهدوا في ما عند الملوك فخفض لهم الملوك وأتوم صاغرين و رضوا الدنيا فجاءت راحة تخدمهم ، وكان هؤلاء الشيوخ يقومون على الدولة الروحية وإدارتها بنشاط و تيقظ أعظم من نشاط الملوك وسهرهم على مصالح بلادهم وإدارتها ، و قد كان الواحد منهم يشرف على الحياة الدينية و الحياة الخلقية في طول الهند و عرضها ، و يرسل الدعاء و ينصب المعلمين و المصلحين ، و يملأ الثغور و يضبط الأطراف و يراقب سير الحكومة و يكافح المادية الطاغية و يقارم التيارات الجارفة .

فترة أكبر، و الخطر الأكبر على الاسلام في الهند :

استمر الحال إلى فجر القرن الحادي عشر الهجري ، و قد تولى عرش المملكة الاسلامية الهندية السلطان جلال الدين أكبر ، و هو ملك أمي لم يقرأ و لم يكتب ، و قد ولد و نشأ و أبوه همايون بن بابر في حالة الفرار من مكان إلى مكان يطارده منافسه في الملك شير شاه السورى ، فنشأ الولد - وارث الدولة التيمورية العظيمى - منهملأ لم يتلق شيئاً من العلم و التربية ، و رزق عقلاً كبيراً و همة وثابة ، و جلس على عرش أبيه و هو شاب في مقتبل العمر و عنده رغبة جامحة في الدراسة و البحث ، فجمع حوله عدداً

كبيراً من العلماء والتف حوله علماء الدنيا بطبيعة الحال ، وكان مولماً بمطارحة العلماء و مناظرتهم ، و طمع العلماء في رفق الملك وصلاته و تنافسوا في إرضائه و سروره ، كل يريد أن يستأثر به الملك ويحمله في نفسه المحل الأرفع ويطلق يديه في المملكة والأموال و لم يكن عندهم شئ يشنون به براعتهم و تفوقهم إلا هذا العلم الذي يحملونه والدين الذي يدينون به ، فأجروا خيلهم في هذا الزمان و وضعوا علمهم في الميدان ، و تناقروا كالديكة ، هذا يغزل و ذلك ينقض ، و هذا يثبت و ذلك يرد ، و الملك يستمع و ينصت إلى مناظراتهم الدينية و مباحثاتهم العلمية وهو أى لا يستطيع أن يحكم و يستقل بفكرته ، فشأت عنده الشكوك و تزعجت العقيدة و اضطرب في الحقائق الدينية اضطراباً عظيماً و أصبح يشك في الحقائق الدينية ، ثم رأى من أخلاق العلماء و مثلى الدين و حبهم للجاه و نهمهم للال و تحاسدهم و تباغضهم ما أساء ظنه بالعلماء أولاً و بهذا الدين الذي يمثلونه ثانياً ، فهذا رئيس القضاة يموت فيخرج من بيته لبنات من ذهب كان قد اكتنزها ، و هذا المحدث كان يكيد له منافسه و يدبر مؤامرة عليه ليستقطه و يهينه ، إلى غير ذلك ، و كان الملك مرهف الحس قوى العاطفة ، سريع الحكم ،

حكّم على هذه الجماعة بالفساد وأصاها وأقصى معهم الدين .

بطانة سوء من العلماء :

ثم زاد الطين بلة أن حظى عنده أخوان من أسرة عليّة
كبيرة و من كبار أذكياء العصر و نوابغ الوقت و هما أبو الفضل
المؤرخ الأديب صاحب (آيين أكبرى) و أبو الفيض فيضى من
كبار شعراء الفارسية و من المتضلعين فى العلوم العربية صاحب
(سواطع الإلهام) التفسير غير المنقوط فى اللغة العربية ، و كانا
غربي الأطوار فهما شذوذ على و قد لقيا من علماء عصرهما من
الازدراء و عدم الاحتفال و من المجتمع من الانصراف و الاعراض
ما أثار فهما روح الانتقام و الغضب و حلا من نفس الملك محلا
لم يحله أحد لذكأتهما الباهر و شعرهما الرقيق و أدبهما الرفيع و دراستهما
الواسعة ، و كان أبو الفيض أقربهما إلى الملك و ألصق الناس به فسول
للك الدعوى بالاجتهاد المطلق و أنه صاحب دورة جديدة و أن
عصر نبوة محمد ﷺ قد انتهى على هذا الألف و بدأ عهد إمامة
السلطان أكبر فأعلن نسيخ نبوة محمد ﷺ و انتهت مهار فاتحة عصر
جديد للسلطان فيه الكلمة النافذة و الأمر المطاع

[١٠]

معاداة الاسلام :

ثم ظهرت له فكرة التقريب بين الأديان ليتفادى الخلاف بين الديانات وتجتمع الهند كلها تحت لواء واحد وعلى دين واحد ، فلفق الديانات وابتكر مزيجاً غريباً من الطقوس و العبادات والشعائر الدينية المختلفة . فكان يعبد على طريق براهما الهند ويتقلد الحيط علامة لهم و يولى وجهه إلى الشمس ، ويرطن بكلمات تقديس لها ، ولم يزل - بتأثير محيطه - يتعد من الدين الاسلامي و يقرب و يمزج بالبراهمة خاصة حتى نشأ عنده شبه عناد للدين الاسلامي و بغض له و لشارعه . فكان يسوؤه أن يسمى أحد في بلاطه ابنه محمداً ، و حرم ذبح البقرة في طول الهند و عرضها ، و أباح الخمر و الخنزير ، و أصبح الاسلام غريباً مطاردأ في بلاد استمرت فيها الحكومة الاسلامية خمسة قرون في عهد رجل يتسمى بالاسلام و ينحدر من سلالة ملسة لها غيرة على الاسلام ، و هكذا اتجهت الهند كلها إلى الاباحية و الفكر و كادت جهود القرون المتطاولة و دماء النفوس البريئة تضيع و تذهب سدى .

حاجة التجديد إلى عبقرى :

كان خطب الهند و الاسلام أعظم من أن يقوم له الأقزام

من رجال الدين والمتسبين إلى العلم ، فليست المسألة مسألة أفراد وجماعات ، أو مسألة بدع وخرافات ، إنما هي مسألة انحراف دولة من أعظم دول الأرض ، على رأسها رجل من أكبر ملوك العصر ، و حوله رجال من أعلم رجال الوقت و من أذكاهم ، إنها خطة مدبرة و مؤامرة محكمة على الاسلام بيبتها أقوى الناس وأقدرهم ، إن الانقلاب الديني كان يطلب رجلا عملاقاً في العلم و الشخصية و في العقل و المواهب ، إنه كان يحتاج إلى عبقرى عظيم و مجدد كبير يتجرد لمقاومة هذا التيار العنيف الجارف فيحوّله من جهة إلى جهة و يغير مجرى التاريخ .

الامام أحمد السرهندي :

إن لله في دينه شئواناً ، و من شئونه أنه يخلق لكل عصر ، رجلا من رجال الاسلام ، و لكل غرض سهماً من السهام التي لا تطيش ، فان الله قد تكفل بحفظ هذا الدين القويم والذكر الحكيم ، لقد وجد هذا المصلح في شخص رجل يقال له (الشيخ أحمد بن عبد الاحد السرهندي) تخرج في علوم عصره كما تخرج أكبر عالم و برع فيها ، و جمع إلى كفايته العلمية و دراسته المتقنة تربية الروح و تهذيب النفس و الاخلاص لله و نوام الذكر و حضور القلب ،

أخرج في ذلك على شيخ كبير من شيوخ الطريقة النقشبندية الشيخ عبد الباقي البدخشي نزيل دهل، واستعان به أبو الفيض (الفيض) في ما التوى في كتاب (سواطع الالهام) فرأى عنده القريحة الوقادة والعلم الحاضر، و عرضت عليه المناصب في الدولة فرفضها لأنه لم يخلق ليشارك في إدارة هذه الدولة الجائرة إنما خلق ليقومها أو يكسرها - إذا لم يستطع أن يقومها - وينشئ منها دولة إسلامية جديدة . رأى الشيخ أحد اتجاه الدولة ومعاداتها للدين ومحاولة القضاء على الإسلام في هذه البلاد، فاهتزت مشاعره، وتكدر صفو حياته وطار نومه، و ملكت هذه الفكرة عليه شعوره وعقله، وأصبح لا يفكر إلا في إصلاح الحال، والرجوع بالدولة إلى وضعها الإسلامي والمحافظة على مستقبل الإسلام في هذا القطر العظيم .

الخطر في الثورة العسكرية :

و لكن كيف السبيل إلى ذلك ولا أمل في نجاح الثورة ، فهو رجل فريد وحيد لا يملك إلا قلبه وقلبه ، ولا أمل في الانقلاب العسكري فالدولة شابة اقية لم يصبها شئ من الهرم والضعف بل قد توسعت و توطدت فأصبحت إمبراطورية عظيمة ، وهي الامبراطورية الثانية التي عرفتها الهند بعد امبراطورية أشوكا ،

وقد كسب الامبراطور أكبر ود أمراء الهند وأقيالها بتوجهه فيهم
وتقريبهم إلى نفسه ، فأصبحت دولة راجحة مشهدة البنيان موطدة
الأركان ، لها وزراء من كبار راجبوت ، وجيش قوى من أقوى
جيوش العالم وأحسنها تدريياً ونظاماً ومالية عظيمة ، فكيف يقاوم
هذه الدولة المنظمة و كيف يؤدي رسالته و يقوم بمهمته ؟ إنها
لمهمة تنوء بالعصبة أولى القوة فكيف بفرد فقير يسكن في قرية 100
من أين يبدأ الإصلاح ؟

ولكن الشيخ أحمد صمم على أداء رسالته ، واهتدى في تفكيره
المخلص المجد إلى تقطة مهمة وهي تقطة الفتح ، إن الملك قد أفسده
المفسدون قنار على الدين وانحرف عن الجادة ، ولكن ليس هو
الدولة كلها ، وليس هو الشعب كله ، و قد كتب عليه الموت ،
وهو خاضع للسنن الالهية ، فيموت و يخلفه غيره ، فلا بد أن
أؤدي رسالتي وأتصل ببلاطه وأركان دولته ، ولا موجب للقنوط
من البعرة الانسانية فالصلاح فيها أصيل ، والفساد عليها طارى ،
فلا تجرب ولاحاول ، وإن الله ناصر من نصره وغاذل من خذله .
الأسلوب الحكيم :

جرد الشيخ أولاً نفسه و فكره من كل أمل و طمع في ما

عند هؤلاء من حال و تشب و عز و جاه ، و ركز فكره على
الاصلاح و التصيحة حتى رأى أن ما عندهم من دنيا لا يسارى فى
نفسه إلا جيفة عليها كلاب ، ثم اتصل برجال البلاط الملكى
و أركان الدولة و تعرف إليهم ، فإذا هم يحلون و يحلون من نفوسهم
مغلا لا يحلون المتلقين و المتزلفين ، و يعرفون أن هذا الرجل من
طراز آخر غير الطراز الذى جربوه ، أن هذا رجل قد تمرد على
المادة ، و تمرد على المجتمع ، و خرج من سلطان المطامع و الشهوات
و رأوا فيه من قوة النفس و الحرية و معنى الانسانية السامية
ما لم يروه فى نفوسهم ، و رأوا أنفسهم أقزاما لا يتناولون إلى
إنسانيته الرفيعة و رجولته الشاخصة ، تخضعوا له كما يخضع كل صغير
لللكبير . و كل فقير للغنى ، و تضاملوا أمامه كما تضامل السكبان
و الربى أمام الطود الشامخ و الجبل الناطح للسحاب .

و هنا يقع بالسلطان أكبر حادث الموت ، و يخلفه ابنه
جهان كير و هو يحمل للشيخ من التقدير ما لم يكن يحمله و .
ولكن بلاطه لا يخلو من يضمير للشيخ العدا و يحسده ، فدبروا
له المكيدة ، و زينوا للملك أن يطلبه و يمتحنه ، و حضر الشيخ
فعلا ، و كان من العادات المتبعة أن كل من يدخل على الملك يسجد

له تحية ، فامتنع الشيخ و حياه بتحية الاسلام ، فثار ثأر الملك
و سجنه في معتقل كواليار ، وليث في السجن بضع سنين ، يشتغل
بالعبادة و يدعو المسجونين إلى الاسلام ، فأسلم على يده - كما جاء
في دائرة المعارف الاسلامية - مئات من المسجونين .

ثم ظهرت للملك براءة الشيخ و علو منزلته ، فأطلقه و دعاه
و أكرم مشواه ، و قضى الشيخ شهر رمضان عند الملك و الملك
يصلى خلفه التراويح و يذاكره و يفيد منه في الدين ، حتى رحمت
في قلبه محبته و علت في عينه منزلته فرد الشيخ إلى وطنه مكرماً
مبجلاً .

التأثير في بلاط الملك و رجال دولته :

و نشط الشيخ في التأثير في بلاط الملك و رجال دولته
و جيشه و راسلهم و راسلوه و بايعه منهم كثير و أحبه أكثر ،
و تأكدت الصداقة بينهم ، فكان الشيخ يكتب إليهم رسائل رقيقة
مرققة تأخذ بمجامع القلوب و تهز النفوس ، وهي من أبلغ الرسائل
و أعظمها تأثيراً في القلوب ، يصور لهم غربة الاسلام في بلاده
فيكي و ييكي ، يقول في رسالة : و احزنناه ، واحسرتناه ،
وامصبتناه ، إن أتباع محمد ﷺ - و هو محبوب رب العالمين -

غرياه مهانون في بلادهم و أعداؤه مكرمون ، إن الباطل بارز منصور ، و إن الحق مخدول مستور . .

و يقول في رسالة : « لقد أتى على الانسان والمسلمين حين من الدهر في هذه الديار - يعنى به عهد الملك أكبر - إذا عمل مسلم بحكم شرعى يسجن و يعاقب و يهان و يعذب ، و الديانات كلها حرة متمتعاً بكل حق ، لقد شمت بالمسلمين الأعداء و محروا منهم ، وأصبحوا هدفاً لكل تخريج و إهانة . .

و يستثير هم رجال الدولة المسلمين و يستنهضهم لخدمة الاسلام وإقاله من عناره ، فيكتب إلى خانخانات - و هو قائد قواد الجيش و الركن الأعظم للدولة - « إن ميدان البطولة الاسلامية لا يزال خالياً ينتظر فارساً من فرسان الاسلام ، فهل تسبق إلى هذه السعادة و تبرز قصب السبق و تنصر هذا الدين المظلوم ، و تغضب لهذا الحق المضموم ، و تبلغ بجهدك إلى حيث لا يبلغه المتعبدون الصائمون القائمون ، خيلاً يا أهل الغيرة والفتوة و يا أهل الشهامة و المروءة . .

وهكذا يكتب إلى خان أعظم أكبر الأمراء في عهد جهاتكبير . والسيد فريد أحد الوزراء و المستشارين في الدولة ، و قد نفذ

بروحانيته في قلوبهم و يسيطر على عقولهم ، حتى كان على طيهم
 الاحكام كما على ملك البلاد ، فيستولون أمره و ينفذون رغباته ،
 و يوجه الدعوة وهو قاعد في زاويته سرهتد توجيهاً دينياً بواسطة
 تلاميذه الروحيين و خدمته المخلصين الذين يدبرون دقة الحكومة ،
 سمع مرة أن الملك جهانكير يفكر في أن يجمع حوله جماعة
 من كبار العلماء الذين يشيرون عليه في أمر الدولة ، واستعان بوزرائه
 أن يختاروا له هؤلاء العلماء ، فقدم الشيخ من سبوه العاقبة
 والوقوع في ما وقع فيه الملك أكبر ، وتورطت بسية الدولة الاسلامية
 في الالحاد والكفر . قال : إياكم أن تجمعوا حول الملك علماء
 السوء المتافسين ، و رجال المادة الطامعين و قطاع الطريق
 ولصوص الدين ، فيفسدون فكرة الملك و يضررون الدين من حيث
 يشعرون و من حيث لا يشعرون ، و لكن اختاروا له صفوة
 من العلماء الذين تجردوا عن حب المال و الجاه و أخلصوا لدينهم
 أو اختاروا له رجلاً واحداً ممن يتقى الله و يخشاه من الراضين
 في العلم .

يتغير اتجاه الدولة و ترجع الهند إلى الاسلام :

و ظل الشيخ مثابراً على دعوته إلى وفاته (سنة ١٠٣٤ هـ)

حتى ظهر اتجاه الدولة وتغيرت سيرة الملك و نفسه ، و أصبحت
الدولة تقسم كل يوم من حسن إلى أحسن ، ظف جهاز كبير
ابنه شاهجهان وكان له في الشيخ رأى جميل و معه صلوات طيبة .
هذا هو الملك الذى لما جلس على عرش الطاووس الذى كلفه
ملايين من الجنيهات وكان تحفة فنية ، نزل عنه و خرقة ساجداً
وقال : هباً لفرعون جلس على عرش من الابنوس فقال : أنا ربكم
الأعلى ، وما آما ذا أحمد لله شكراً و أقم له ساجداً مقراً ببوديقى
و صفى و قدرته و كبريائه ، و بذلك تستدلون أيها السادة على
تغير النفسية و تطور الدولة .

السلطان أورنگ زيب من غرس الامام السرهندى :

وخلف شاه جهان السلطان العظيم الملك الصالح أورنگ زيب
عالم كبير وهو من عنى أولاد المجدد بتريته وثقافته ، فبدأ متعبداً
متبناً للشريعة قصباً في الدين غيوراً عليه ، حريصاً على تطبيق أحكامه
و إصلاح المجتمع الفاسد و تقويم الحكومة الزائفة ، وكان الشيخ
محمد مصوم ابن الشيخ أحمد السرهندى و خليفته مهتماً بتريته
و مستقبله ، يخاطبه في رسالته « بناصر الدين ومطل الشريعة » و قد
طلب منه الأمير الشاب أن يرسل له من يريه الترية الروحية :

فأرسل إليه ابنه الشيخ سيف الدين السرهندي فلقنه الذكر على طريق السادة النقشبندية وداوم عليه الأمير حتى ظهرت فيه آثار الذكر ، و بشر به الشيخ سيف الدين والده الشيخ محمد معصوم وأزال من قصره المنكرات .

مآثر أورنگ زيب الاسلاميه :

و أراد الله بالمسلمين في الهند خيراً إذ كان أورنگ زيب خليفة آيه شاه جهان في الامبراطورية المغولية ، فاتصر به الدين وعز المسلمون ، وهان الكفر ، وزالت المنكرات ، وبطلت المكوس الجائرة ، ووضعت الجزية على غير المسلمين ، ويذكر المؤرخون من استقامة أورنگ زيب على الشريعة الاسلامية ومن عبادته وصلاحه ما يدهش رجال هذا العصر ، فقد حفظ القرآن بعد جلوسه على العرش ، و جمع أربعين حديثاً و شرحها ، و أمر بتدوين الفتاوى لتكون دستوراً للملكة ، و ألف له لجنة كبيرة من العلماء و كان يشرف على هذه اللجنة و يطلع على عملها يومياً و يقرأ قبل النوم كل ما كتب في هذا الموضوع ؛ وهي الفتاوى المشهورة (بالفتاوى الهندية) و يواظب على الجمع و الجماعات ، و يلتزم صلاة الجمعة في جامع دهلي وإن كان بعيداً عنه ، ويصوم ثلاثة أيام في الأسبوع

ويجي ليالى رمضان بالترابيح و يخرج زكاة ماله ، و كان شديد
الانكار على المنكر ، شديد المحاربة للبدع و الغناه والمزامير ، وكان
مع هذا التدين أكبر الملوك الذين عرفتهم الهند ، و أوسعهم ملكا
و أعظمهم سلطاناً ، و أقدرهم على الادارة و أعلمهم بالسياسة ، و قد
انقلبت به الحكومة المغولية من دولة نائرة على الدين ثم دولة
منحلة ، إلى دولة متمسكة بالدين محافظة عليه .

نجاح الامام السرهندى فى مهمته و أهدافه :

وهكذا استطاع رجل وحيد بقوة إرادته و صدق عزيمته ،
و إيمانه القوى و معرفته بقيمة نفسه ، و احتفاظه بقوته ، و إيمانه
من أن ينفقها فيما لم تخلق له و ما لا يعود على الاسلام بطائل ،
و تجرده للدعوة ، و تركيزه جهوده كلها على إنهاض الاسلام من
كبوته فى هذه الديار ، لقد استطاع هذا الرجل بهذا التوفيق ،
أن يحدث انقلاباً فى الحكومة و اتجاهها ، و استطاع أن يقضى
على عقيدة وحدة الوجود التى تغلقت فى أحشاء التصوف ، و الأدب
و الشعر ، و على فكرة استقلال الطرق عن الشريعة ، و على كثير
من العقائد و الأفكار و العادات التى تسربت إلى المسلمين من
الجاهليات المختلفة .

ضف الحكم الاسلامى فى الهند :

ثم توالى على عرش الدولة التيمورية بعد أورنگ زيب ملوك
ضفاف من طراز الخلفاء العباسيين فى بغداد فى العهد الأخير
لا يملكون من أمرهم شيئاً ، ينصبون ويمزلون كالأطهار البالية ،
واضطرب جبل الدولة و كثرت الفتن والمصائب ، و هكذا لم تعد
الدولة مركز الحياة ولم يبق لها السلطان و القدرة على توجيه
البلاد - حيث إذا صلح الملك صلحت الدولة و صلحت البلاد
كلها - فليس مركز الملك الجالس على عرش دهلى مركز القلب
فى الجسم إذا صلح صلح الجسد كله و إذا فسد فسد الجسد كله ،
إنما هو صورة لا تنفع و لا تضر ، إذن فلا بد من العناية
بالشعب مباشرة بدل الحكومة ، والعناية باصلاحه وتربيته و تثقيفه
الاسلامى .

الامام ولى الله الدهلوى :

هنا قام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (١١٧٦م -
المشهور بالشيخ ولى الله ، وهو أحد حكماء الاسلام ونوابه وكبار
المفكرين الاسلاميين ، من طراز الامام الغزالى و شيخ الاسلام
ابن تيمية ، فلاحظ خمس نقاط فى حياة الشعب الهندى .

خطته في الإصلاح :

(١) إن كثيراً من المسلمين قصرُوا في فهم (التوحيد الاسلامي) وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية ، فلا بد من إبراز هذا (التوحيد) في ثقافته ووضوحه وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الاسلام .

(٢) الشعب ليس له اتصال مباشر بالكتاب والسنة ، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه بعلّة تعذر فهمه للعامة ، وخوف انحلال سلطتهم الروحية و سيادتهم العلية ، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى لغة البلاد ولم ينشروا كتب الحديث ، فلا بد إذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد ، و الاقبال على كتب السنة و حديث رسول الله ﷺ .

(٣) ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية ، وبضاعتهم مزجاجة في الحديث خصوصاً ، فلا بد من نشر علم الحديث ، فدرس الصحاح والموطأ ، و أقبل الناس على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكة مرموقة في العالم الاسلامي في خدمة الحديث بفضل جهود هذا البيت العظيم و مؤسسه .

(٤) لاحظ أن العالم الاسلامى سوف يستقبل عصراً عظيماً
و ثورة فكرية ، فلا بد من إيضاح الفكرة الاسلامية و جلائها ،
و بيان أسرار الدين و حكمه و أصول التشريع الاسلامى ، و لا بد
من شرح نظام الخلافة فى الاسلام ، و أساليب الاسلام و أسسه
فى تنظيم الحياة و المجتمع ، فألف كتاباً لا تزال قريده فى مكتبة
الاسلام العامرة منها (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء ،
فى خلافة الخلفاء) .

(٥) لاحظ أنه لا أمل فى نهضة الأسرة الملكية الهندية
و تجديد شباب الدولة التيمورية ، لأنه — كما قال ابن خلدون —
« إذا نزل الهرم بدولة لا يرتفع ، فلا فائدة فى بذل القوة لاصلاحها
و تقويتها ، و لا بد من إعداد جماعة تحدث انقلاباً إسلامياً و تؤسس
دولة إسلامية جديدة على أساس دينى على جديد .
نجاحه فى عمله :

قام الشيخ ولى الله و أصحابه بمهمة هذا التجديد الاسلامى
خير قيام ، فشرروا العلم الصحيح و أذاعوا مصادر الدين الأولى
و ألفوا كتباً دسمة قوية مبتكرة تمهد العقول و النفوس لاحداث
انقلاب إسلامى و إنشاء دولة إسلامية ، و خرج تلاميذ و رجالا

يقومون بهذه المهمة ، و قام بعده نجله الأكبر سراج الهند الشيخ
عبد العزيز الدهلوى (١٢٣٩هـ) فدرس و ألف ، و خرج وخلف
التلاميذ الكبار و العلماء الفحول ، نشروا علم الحديث و شئروا
عن ساق الجد في نصر الدين و محاربة البدع ، والدعوة إلى الكتاب
والسنة و تزكية النفوس ، حتى نفقت سوق الحديث و قامت دولة
العلم ، واستعدت النفوس للنصر المؤزر للدين .
الامام أحمد بن عرفان الشهيد و رفقته و تأثيرهم في الحياة :

و في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى قام السيد
الامام أحمد بن عرفان الشهيد الذى تخرج على الشيخ عبد العزيز
- ونعه الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغنى بن الشيخ ولى الله الدهلوى -
فدعا الناس إلى الدين الخالص والتوحيد و اتباع السنة ، و حارب
الشرك و الجاهلية و البدع محاربة سافرة شديدة ، و بث في الشعب
روحاً دينية قوية لم تمهد من قرون متطاولة ، و دعا الناس إلى
الايمان و الاحسان و التقوى و الجهاد في سبيل الله ، و قام بجولات
واسعة في الهند تاب في خلالها ألوف من المسلمين ، و أقفرت
الحانات و غصت المساجد ، و كسدت سوق البدع ، و ألغى حوله
المخلصون و العلماء الربانيون و خرج للصح عام ١٢٣٦هـ و معه أكثر

من سبماية رجل ، و تشرف بالبيعة والتوبة مئات ألوف من المسلمين في هذا السفر ، وكان الناس يقصدونه من كل صقع ويدخلون في الخير أفواجا ، حتى لم يحرم ذلك المرضى في المستشفى ، وكان الناس يتساقطون عليه كالفرش ، وأسلم عدد كبير من الكفار ، وكان من تأثير مواعظه و دخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن وقفت تجارة الخمر في كلكته - وهي كبرى مدن الهند ومركز الانجليز - و أقضت الحانات واعتذر الخارون عن دفع ضرائب الحكومة لكساد السوق وتعطل تجارة الخمر .

وبعد الرجوع من الحج نادى الامام وأصحابه بالهجرة والجهاد في سبيل الله ، فهان على المتصلين بهم بذل نفوسهم و الهجرة من أوطانهم والتخلي عن أموالهم ، وتلقوا التربية الحربية . ثم هاجروا مع إمامهم السيد أحمد ووزيره الشيخ إسماعيل إلى بلوچستان ومنها إلى أفغانستان ، فحدود الهند الشمالية حيث حاربوا السك ، الذين كانوا قد احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب ، وهزمهم غير مرة . و كذلك كل من وقف في سبيلهم من أمراء الأفغان وهم يريدون أن يوغلوا في الهند ويحلوا الانجليز ويؤسسوا دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان ، وهكذا اتصل للدول

الاسلامية بعضها بعض حتى تكون سلسلة من حكومات إسلامية ،
وأسوا فعلا دولة في الأرض التي فتحوها و تقع فيها مدينة
• بشاور ، ، و طبقوا نظام الاسلام المالي و الادارى تطبيقاً
دقيقاً ، وظهر منهم من تنفيذ أحكام الشرع على أنفسهم و على
غيرهم ومن الجمع بين العبادة و الجهاد ، و الأمانة و العدل و الاستهانة
بالحياة و العزوف عن الشهوات ، و الرحمة بالمسلمين و الشدة على
المحاربين من الكفار ما جدد ذكريات القرن الأول .

و لكن لم تنشأ أهواء رؤساء القبائل الأفغانية و مصالحهم المالية
أن تبقى هذه الحكومة التي تحكم بما أنزل الله و تقرض عليهم
أحكام الاسلام المالية و القضائية ، قثاروا على عمالها و قتلوم ركماً
و مجدأ ، و هاجر بقية المجاهدين مع إمامهم إلى وادي
• بالاكوت ، في طريقهم إلى كشمير التي كانوا يريدون أن يتخذوها
مركزاً لنشاطهم ، و هنا حصلت آخر معركة بينهم و بين جيش
عظيم من • السك • الذي اهتدى إليهم بدلالة بعض المأجورين
من المسلمين و دهمهم ، و قتل الامام و كبار أصحابه ، و ذلك سنة
١٢٤٦ هـ و اعتصمت البقية الباقية بالجبال و لم يزالوا قائمين
على الحق ، مرابطين على النغر ، مشمرين عن ساق الجد ، إلى آخر

ساعة ، جزام الله عن الاسلام خير الجزاء .
مدرستان للداعين إلى الكتاب والسنة والعاملين بالحديث :

ونشطت حركة نشر الحديث والدعوة إلى الكتاب والسنة
ونبذ البدع والخرافات . بعد ما قام تلاميذ الامام ولي الله الدهلوي
وأجماله وأحفاده بتدريس كتب الحديث و محاربة البدع والعادات
الجاهلية المحيطة ، و قام السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد
والعلامة محمد اسماعيل الشهيد بالدعوة إلى الدين الخالص ، والعقيدة
الصحيحة السنية ، و الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح والقرون
المشهود لها بالخير . ونشطت العقول و تحركت الهمم ، و كثر
الدعاة إلى الدين والمكافحون للفساد ، وكثر المعتون بعلوم الكتاب
و السنة ، والمؤلفون في المقاصد الدينية ، في اللغة الأردنية الشعبية في
أسلوب سهل واضح .

و نشأت من هذه الحركة التعليمية الدعوية مدرستان تنفقان
على الأساس وتختلفان في المنهج إحداهما مدرسة «صادق پور» (١)
السلفية ، وأندما العلامة ولايت علي العظيم آبادي من كبار خلفاء
السيد الشهيد و أحد العلماء الربانيين في الهند في العهد الأخير ،
و هي متشعبة بروح دعوة التجديد والجهاد التي قادها السيد الشهيد
(١) صادق پور حى من أحياء مدينة «بته» عاصمة ولاية بهار كانت مركزاً لانصار
السيد الشهيد .

و العلامة الشهيد ، و هى تسم بالجمع بين الدعوة و روح الجهاد
و العمل بالحديث و تزكية النفس و عمارة الباطن ، على طريقة السيد
الشهيد و الامام ولى الله الدهلوى و المجدد السرهندى .

و الثانية مدرسة للعلامة السيد نذير حسين الدهلوى (المتوفى
١٣٢٠ م) و هو تلميذ الشيخ محمد اسحاق بن افضل الدهلوى سبط
الشيخ عبد العزيز الدهلوى ، و قد اشتغل بتدريس الحديث الشريف
مدة طويلة ، و رحل إليه العلماء و الاساتذة من اقصى البلاد ،
و تخرج عليه علماء كبار ، درسوا و ألفوا فى الحديث ، منهم
العلامة شمس الحق الديانوى و مولانا محمد بشير السهوانى ،
و الحافظ عبد المنان الوزير آبادى ، و العالم الربانى السيد عبد الله
الغزنوى الاخرتسرى ، و ابنه السيد عبد الجبار الغزنوى (١) و آخرون
كان شعارهم الجميل بالحديث ، و عدم التقيد بالتقليد ، و تختلف
درجاتهم و أساليبهم فى التمسك بهذا الشعار و الدعوة إليه .

و ينخرط فى هذا السلك المؤلف الكبير العلامة السيد
صديق حسن القنوجى البهوپالى المتوفى (١٣٠٧) و هو معاصر
للسيد نذير حسين الدهلوى و تخرج على تلاميذ الشيخ عبد العزيز
الدهلوى و الشيخ محمد اسحاق بن افضل ، و على علماء إلبين المحدثين ،

(١) و كانا أقرب إل مدرسة السيد الشهيد من زملائها الآخرين بالجمع بين العمل
بالحديث و الربانية الصافية و لروحانية القوية .

و قد مجدم علوم السنة بالتأليف و النشر و بذل الاموال الطائلة
واحتضان العلم والملا..

ثورة الهند و رد فعلها :

و في سنة ١٨٥٧م ثار المسلمون ثورة عظيمة للتخلص من
الانجليز ، ولكن أخفقت هذه الثورة و حلت الحكومة الانجليزية
عل شركة الهند الشرقية فكان الأمر أشد ، و دخلت الهند في
حكم بريطانيا المباشر ، وكونت الامبراطورية الانجليزية ، فسرب
اليأس إلى قوس المسلمين و فقدوا الثقة بأنفسهم و مستقبلهم ،
و ضفت روح المقاومة ، وهاجر كثير من العلماء و رجال الدين
إلى الحجاز ، و أصبحوا يعتقدون أن الحكم الأجنبي في الهند ضربة
لازب ، و انبت دعاة المسيحية و القسوس في القرى و المدن يدعون
إلى المسيحية علناً و يشنعون على العقيدة الاسلامية و الشريعة
المحمدية ، و يعلنون أن دولة الاسلام قد زالت و أن عهده قد
انقضى و دخلت الهند في الحكم المسيحي ، فليتم المسلمون لاستقبال
هذا الحكم و ليقبلوا على دين الحكومة و طبقت الحكومة نظام
التعليم المدني و هو يهدف إلى تخريج طراز من الناشئة لا يصلح إلا
لادارة جهاز الحكومة الانجليزية و تنفيذ برامجها ، و كثيراً ما كان

أفراد الجيل الجديد ينسحبون عن الإسلام انسلاخاً كلياً ، ويشورون على الحضارة الإسلامية والديانة الإسلامية بتأثير التعليم والترية في مدارس الحكومة التي كان يديرها الإنجليز أو أشباه الإنجليز ، و بسبب « مركب النقص » الذي أصيب به المسلمون في عصر الاحتلال و دهشة الفتح التي أصابهم ، فأصبح المسلمون في عمر دارم يمزجون سياسياً وثقافياً ودينياً و انقطع الأمل في كل ثورة و انقلاب عسكري .

مهدي ديوبند و خدمته للدين :

ولم ير العلماء أمامهم طريقاً إلا فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية ، فأنشأوا هذه المعامل ليحفظوا ببقايا الحياة الإسلامية وليكافحوا تيار الغرب المنفي والثقافي ، ويخرجوا منها دعاة الإسلام والوعاظ والمرشدين و علماء الدين فليحفظوا على المسلمين دينهم و يعبدوا الثقة إلى نفوسهم ، فأسس مولانا محمد قاسم النانوتوي (م ١٢٩٧ هـ) (مدرسة ديوبند) سنة ١٢٨٣ هـ ، و أسس مولانا سعادت علي (مدرسة مظاهر العلوم) في سهارنپور في نفس ذلك العام ، ثم توارثت المدارس الدينية في أنحاء الهند ، وقد كان لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية ،

و في نشر الثقافة في طبقات الشعب ، و محاربة البدع و الخرافات ،
و بث الروح الدينية في الجماهير ، و قد نجحت هذه المدارس في
رسالتها الدينية نجاحاً باهراً .

و كان لأحد أبناء دار العلوم ديوبند وهو الشيخ أشرف علي
التهانوي (م ١٣٦٢هـ) سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة
و إصلاح النفوس و تهذيب الأخلاق و الدعوة إلى الله . و قد عمل
وحده عمل مجمع علمي كبير ، و ألف كتباً و رسائل تربي على
ثماتة ، و قد انتشرت انتشاراً كبيراً و أثرت في المجتمع الهندي
الاسلامي تأثيراً عظيماً .

سر نجاح هذه المدارس :

و سر نجاح هذه المدارس - كديوبند و شقيقاتها - في أداء
رسالتها و نشر الدين و العلم ، أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة ،
و كانت قائمة على أساس الزهد و التضحية و الجهاد ، فأثار ذلك
فيها روح المقاومة و الجهاد ، و قوة العمل و النشاط ، ثم إن
أبناءها المنخرجين لم يكن لهم أمل - بطبيعة الحال - في وظائف
الحكومة و الرواتب الضخمة ، لأنهم تخرجوا من مدارس حرة
لا صلة لها بالحكومة فألجا ذلك أكثر المنخرجين إلى الانتطاع

إلى الشعب دون الحكومة ، والتجرد للدعوة والخدمة دون المناصب
والرواتب وهكذا وجد دعاة متجردون محتسبون متطوعون يقتنون
بالكفاف وينقطعون إلى الدعوة والرسالة ، فقاموا بأعمال إصلاحية
لا تقوم بها أكبر دولة .

ندوة العلماء و معهدهما :

ولما رأى بعض العلماء أن الهوة قد اتسعت جداً بين التعليم
المدني والتعليم الديني ، وحدثت بين المتخرجين من المدارس الدينية
والمتخرجين من المدارس المدنية فجوة وجفوة تسعان على مر الأيام
حتى أصبح أولئك أمة و هؤلاء أمة . و لكل أمة لغة خاصة
وثقافة خاصة ونفسية متميزة لا يفهمها الآخر ، بل أصبح التعليم
الديني في واد و العصر الحديث في واد ولا جسر بينهما ، وقد
أصبح هذا العصر يطلب من العالم الديني ثقافة أوسع ، و أسلوباً
للدعوة أرقى و أقرب إلى نفسية هذا العصر ، و اطلاعاً على ما
تجدد من العلوم و الأفكار والمسائل والحاجات ، أنشأ القائمون
على ندوة العلماء - وفي مقدمتهم مولانا محمد علي المونكيري - مدرسة
دار العلوم في لكةهنو سنة ١٣١٦ هـ ، و رسالتها الجمع بين القديم
الصالح والجديد النافع ، والتصلب في العقيدة والمبادئ ، و التوسع

في الجزئيات و الوسائل ، وقد خرجت علماء و مؤلفين كانوا ملتحين
 للثقاتين و برزخاً بين الطائفتين ، و قد ألفوا في السيرة النبوية
 و التاريخ الاسلامي كتباً هي خير ما ألف إلى الآن للجبل الجديد ،
 ولا يزال كتاب « سيرة النبي » في ستة مجلدات كبار للعلامة شبلي
 النعماني (١٣٣٢هـ) وتلميذه الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي (١)
 اعظم مؤلف في السيرة النبوية و تعليمات الاسلام لا يوجد له
 نظير في مكتبة الاسلام الحديثة ، ولا يزال لهذا المركز التعليمي
 نشاط و إنتاج .

حركة التبليغ و صاحب دعوتها مولانا محمد إلياس :

واختصر وازين حديثي هذا بذكر دعوة و حركة دينية قوية كان
 في شرف الاتصال بها عن كتب لا عن كتب ، و شرف التعرف
 بمؤسسها - و بالأصح داعيها - و قد صحبته مدة ، و رافقته
 في السفر و الحضر ، فهذا لون جديد من الحديث ، و أريد أن
 احدثكم أولاً عن صاحب هذه الدعوة فان الفكرة تتضح كثيراً
 بمعرفة صاحبها ، و هنا أكرر لكم ما تحدثت به من محطة الاذاعة
 الهندية في دهلي عن صاحب هذه الدعوة وتأثيره به ، وكان موضوع

(١) توفي رحمه الله في ١٣ من ربيع الأول عام ١٣٧٢ هـ (٦٦ نوفمبر ١٩٥٢ م)

الحديث • رجال عرفتهم وأعجبت بهم • •

• في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠) خرجت مع رفيقين أطلع
مشاريع التعليم و التربية و مراكزها في الهند ، و انتهت بي هذه
الرحلة إلى دهل و منها إلى ميوات ، الرقة التي هي مشهورة في
التاريخ باللصوصية و الشطارة و النهب و الغارة ، حتى كانت أبواب
سور مدينة دهل تقفل من بعد الغروب خوف هؤلاء اللصوص ،
فسمعت أنها مجال كبير لاصلاح ديني خلقى جديد ، و لما زرتها
وجدت انقلاباً مدهشاً في الأخلاق و النفوس ، تنقلت في القرى
و الأماكن ، و تبعت الأخبار ، فملت أن الناس الذين كان القتل
عدم أهون شئ ، وقد يقتلون الانسان لأمر تافه و درم زائف ،
صاروا الان يحرسون الأموال و الأعراض و ينفون عن المحارم ،
رأيت فيهم إقبالا على العلم و تواضاً و حفاوة و ضيافة و دعامة
خلق و إثارة على النفس و الفسة و مؤدة لا توجدان في هذا
العصر المادى ، و عذوقاً عن الشهوات و صبراً على المشاق و إيماناً
وصلاحاً ، و علمت أن ألوفاً من الناس هناك تأثروا بهذا الاصلاح
واقبلت نصيبتهم لإقلاباً عجيباً .

هنالك لحقت عن منبع هذا الاقلاب فسمعت أن لاجعية ،

ولا جامعة ، ولا دعاية ، ولا صحيفة ، ولا أكتتاب ، إنما هو رجل متواضع في دهمى ، قد بث الروح فى هذه الأمة المتحطية و هذب النفوس ونشر الدين والعلم ، وحداني الشوق إلى زيارته لجئت إلى دهمى فاذا هو رجل نجيف أسمر اللون ، قصير القامة ، كث اللحية تشف عيناه عن ذلك مفرط وهمة عالية ، على وجهه مخايل المم والتفكير و الجهد الشديد ، لبس بمفوه و لا خطيب ، بل يتلثم فى بعض الأحيان و يضيق صدره ولا يتطلق لسانه ، ولكنه كله روح و نشاط وحماسة ويقين ، لا يسأم و لا يمل من العمل ولا يعتربه القنور و الكسل .

صحب (مولانا محمد إلياس) مركز هذا النشاط الذى وصفته مدة طويلة ، وراقته فى السفر والحضر ، فرأيت نواحي من الحياة لم تنكشف لى من قبل ، فن أغرب ما رأيت يقينه الذى استطعت به أن أهم يقين الصحابة ، فكان يؤمن بما جلت به الرسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة والحقيقة ، إيماناً بمقتضى الإسلام أشد وأوسع من إيماننا بلما دلت و المحوسات و بخواص الأشياء و الأهوية و منظرها و مفاصلها و بجارب حياتنا ، فكان كل شى ضح فى الشرائع و ثبت من

للكتاب و السنة حقيقة لا يشك فيها ، وكأنه يرى الجنة و النار
رأى عين .

ورأته في حالة عجيبة من التألم و التوجع و القلق العائم ،
كأنه على حرك السعدان ، يتلطم تلطم السليم ، ويتنفس الصعداء
لما يرى حوله عن الغفلة عن مقصد الحياة ، وعن غاية هذا السفر
المظيم و عن عائق هذا الكون ، و عن الاستهانة بقيمة الحياة
وتضييعها في غير محل ، ولا أجد له مثلاً إلا كالذي يرى الحريق
في بيت و قد أحاطت النيران بأولاده و أسرته و نفاثه ، فيصرخ
و يضطرب و لا يقر له قرار ، و عرفت برؤيته معنى الحب ،
وفهمت ما روى عن المشاق و التيمين و من استولى عليه الحب ،
و صدقت ما نقل عن الأنبياء من الحزن و القلق و الحرص على
الهداية .

ثالثاً و أخيراً رأيت في هذا الجسم التحيل الذي كاد يسجز
عن أن يحمل ثقله روحاً قوية جداً ، و قوة إرادة و قلب
لم أجد مثلاً في الشبان الأقوياء و الأبطال الأشداء ، فكان يتحمل
من المشاق ما ينوء بالمصبة أولى القوة ، و قد يظل في أسفاره
أياماً متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال و يسهر ليلال ، و أعجب

ما رأيت أنه كان في مرضه الذي توفى فيه لا يستطيع القيام
و القعود ، و لكنه يأتي إلى الصف يتهادى بين رجلين و يقوم
للصلاة و لا يستقل بنفسه ، فلذا كبر الامام تركه الرجلان و قام
بنفسه كأنه غير الرجل و يقوم و يركع و يسجد من دون مساعدة ،
حتى إذا سلم الامام خارت قوته و طاد ضعيفاً لا يستطيع النهوض ،
و بقي هكذا شهوراً و ما فاتته في مرضه صلاة إلى الليلة التي
توفى فيها .

الدعوة و مبادئها :

هذا صاحب الدعوة ، و كلمة وجيزة عن الدعوة .
لقد رأى مولانا محمد إلياس ما أصاب المسلمين من
التحلل و الافلاس في الايمان و الروح و الشعور الديني في هذه
المدة و ما أثرت فيهم الحكومة الانجليزية ، و الحصار الغربية
و التعليم المدني ، و غفلة الدعاة ، و الاشتغال الزائد بالحياة ،
والانهماك بالمادة حتى صارت المدارس الشرعية و الأوساط الدينية
كجزر في بحر محيط ، و أصبحت تتأثر بجميعها التأثير على الدين ولا
تؤثر ، جنحها و عزلتها عن الحياة ، فرأى أن التعليم وحده لا يكفي ،
و الاعتزال لا يفيد ، و الأتروا لا يصح ، و لابد من الاتصال

بطبقات القمم ، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار لأنها
 لا تضر بمرضها وقرها في الدين ، ويجب أن يبدأ بغرس الإيمان
 في القلوب وبادئ الاسلام ثم الأركان والعلم والذكر ، مع مراعاة
 الآداب التي تقوى هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ، منها إكرام
 كل مسلم ، و منها عدم الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي وترك
 ما لا يهنيه ، وقد دعا إلى هذا النظام بكل قوته وقوته ، ودعا
 إلى الخروج في سبيل هذه الدعوة وبها في القرى والمدن ،
 وبدأ دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً وأبعدها عن
 الدين وأعظمها جمالة و ضلالة ، وهي منطقة ميوات في جنوب
 دهل عاصمة الهند ، ودعا الناس فيها إلى الاقطاع عن أشغالهم
 والخروج من أوطانهم لمدة محدودة قد تكون شهراً وقد تكون
 أكثر من ذلك ، و عرف أنهم لا يتطوعون الدين ولا يتغيرون في
 الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط القاسد الذي يعيشون فيه ،
 وقد قبل دعوته مئات الألوف من هذه المنطقة ، وخرجوا شهوراً
 وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها
 ركباناً ومشاة ، تغيرت أخلاقهم ، و تحسنت أحوالهم ، واشتعلت
 عواطفهم الدينية ، و انتشرت الدعوة في الهند و باكستان من غير

نفقات باهظة و مساعدات مالية و نظم إدارية ، بل بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الاسلام ، و تذكر بالدعاة المخلصين المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون في سبيل الدعوة و الجهاد متاعهم و زادهم و ينفقون على أنفسهم و يتحملون المشقة محتسين متطوعين .

وقد توفى إلى رحمة الله تعالى في رجب عام ١٣٦٣ هـ وخلفه نجله الشيخ محمد يوسف و قام بأعباء الدعوة خير قيام و في عهده توسعت الحركة توسعاً كبيراً ، و انتشرت بعثاتها في العالم الاسلامي وفي الغرب ، ودعا إلى الايمان وإيثار الروح على المادة ، و الآخرة على الدنيا ، و الاعتماد على الله و بذل الوسع و الطاقة في سبيل الله ، دعوة قوية صريحة أثرت في أوف من الناس فأصبحوا دعاة متطوعين ، و لا يزال مقره « نظام الدين » في دهلي مركز حياة دينية و دعوة لإيمانية ، يؤمها الناس من جهات بعيدة (١) .

جهود المخلصين و تماريهم ثروة إسلامية عامة :

هذا تاريخ الدعوة الاسلامية في هذا البلد في اختصار وهذه مراحلها

(١) توفى مولانا محمد يوسف إلى رحمة الله تعالى في ٢٩ ذيقعدة سنة ١٣٨٤ هـ ، وخلفه الشيخ انعام الحسن الكاندلوي حفظه الله ، و الدعوة في تقدم و اتساع .

وأدوارها ووصفها الموجز ، وأنا أعتقد أن الدعوة في حاجة دأمة إلى التجديد والتفكير ، والتطبيق بين الاسلام الخالد والعصر المتغير ، واستعراض الشئون والمسائل وما يطرأ على الحياة و العقول من الضعف والقوة ، والجدة والتطور . وأن العصمة لله وحده وأنه لم يختم شئ بما أكرم الله به هذه الأمة إلا النبوة التي ختمت بمحمد ﷺ آخر الرسل وعاتم الانبياء ، وأن كل ما ذكرنا نماذج ومثل للدعوة الاسلامية ، وأنماطها وأساليب ، ومناهج وطرق يلهمها أصحاب النفوس الزكية في مختلف العصور والبلاد ، أو يؤثرونها في ضوء الكتاب والسنة .

جهود اصلاحية و تربوية أخرى :

وقام رواد الاصلاح ومحبو نهوض المسلمين وعزم بتجارب كثيرة في مجال الدعوة الدينية ، والتعليم والتربية الاسلامية ، ونشر الفكرة الصحيحة ، ومكافحة تيار الغرب الثقافي ، والغزو الفكري ، وإعادة الثقة إلى نفوس العاطب المنغلين بالتعاليم الاسلامية ، والحضارة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامي ، وإزالة العقد النفسية والفكرية ، بأساليب مختلفة وطرق شتى - في ضوء تجاربهم ودراساتهم - تختلف في النتائج والآثار وفي ضيق النطاق واتساعه ، وفي مدى تقبل المسلمين لها وانتفاعهم بها ، يطول الحديث فيها ،

و تقصر هذه العبارة عنها ، و قد ألفت في التعريف بهذه الجهود
و المنظمات و أهدافها و نتائجها ، رسائل و كتب في اللغة العربية .
نحيل عليها و ندير على القارئ الذي يحب التوسع بمطالعتها .
و أنا أعتقد كذلك أن جهود المخلصين و تجاربهم ثروة إسلامية
عامة ، ليست ملكاً لبلد دون بلد و لا احتكاراً في شعب دون شعب ،
بل هي صناعة المخلصين في كل بلد ، و نبراس المصلحين في كل عصر ،
بحق لهم أن يقولوا كلما أهديت إليهم و قلت عن بلاد إلى بلاد :
« هذه صناعتنا و دت إلينا » .



فهرس المحتويات

الصفحة	العناوين
٢	هذه الرسالة
٣	كيف اتشر الاسلام في الهند ؟
٤	الدولة الروحية بجوار الدولة المادية
٦	صلة الملوك بالشيوخ و اجلالهم لهم
٧	سر خضوع الملوك للشيوخ والدعاة و سيرتهم
٨	فتنة أكبر ، و الخطر الأكبر على الاسلام في الهند
١٠	بطانة سوء من العلماء
١١	معاداة الاسلام
١١	حاجة التجديد إلى عبقرى
١٢	الامام أحمد السرهندى
١٣	الخطر في الثورة العسكرية
١٤	من أين يبدأ الاصلاح ؟
١٤	الأسلوب الحكيم
١٦	التأثير في بلاط الملك و رجال دولته

- ١٨ يتغير اتجاه الدولة و ترجع الهند إلى الاسلام
- ١٩ السلطان أورنگ زيب من غرس الامام السرهندي
- ٢٠ مآثر أورنگ زيب الاسلامية
- ٢١ نجاح الامام السرهندي في مهمته و أهدافه
- ٢٢ ضيف الحكم الاسلامي في الهند
- ٢٢ الامام ولي الله الدهلوي
- ٢٣ خطته في الاصلاح
- ٢٤ نجاحه في عمله
- ٢٥ الامام أحمد بن عرفان الشهيد و رفقته وتأثيرهم في الحياة
- ٢٨ مدرستان للداعين إلى الكتاب والسنة ، والعاملين بالحديث
- ٣٠ ثورة الهند و رد فعلها
- ٣١ معهد ديوبند و خدمته للدين
- ٣٢ سر نجاح هذه المدارس
- ٣٣ ندوة العلماء و معيها
- ٣٤ حركة التبليغ، و صاحب دعوتها مولانا محمد إلياس
- ٣٨ الدعوة و مبادئها
- ٤٠ جهود المخلصين و تجاربهم ثورة إسلامية عامة
- ٤١ جهود اصلاحية و تربوية أخرى